

من أركان العقيدة : الإيمان باليوم الآخر

عناصر الموضوع في البرنامج (السداسي الثاني):

التعريف باليوم الآخر، مفهوم الإيمان باليوم الآخر، أسماء اليوم الآخر، أدلة وجود اليوم الآخر والحكمة من ذلك، أشراف الساعة وأماراتها، حقيقة الموت، الحياة البرزخية، عذاب القبر ونعيمه، خصائص هذا اليوم ومميزاته، النفخ في الصور، البعث، النشر، الحوض، الحساب والجزاء، الميزان، الصراط، القنطرة، الشفاعة، أصناف الناس في هذا اليوم، الجنة والنار، رؤية الله تعالى في الجنة، ثمرات الإيمان باليوم الآخر...

يقول علي محمد مقبول الأهدل¹:

تعريف الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر هو يوم القيامة؛ والمراد به: من وقت الحشر إلى ما لا نهاية، أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وسمي اليوم الآخر؛ لأنه آخر الأوقات المحدودة؛ أو لأنه متأخر عن الدنيا؛ ولأنه لا ليل بعده؛ ولأنه آخر أيام الدنيا.

والإيمان باليوم الآخر: هو التصديق الجازم بأن الله أعد وقتاً ينهي فيه الحياة الدنيا. [1]

وقيل في تعريفه بصورة إجمالية: هو الإيمان بكل ما أخبر به الله - سبحانه وتعالى - في كتابه، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان، والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلها جميعاً. [2]

إذن: الإيمان باليوم الآخر هو إيمان بالغيب؛ لأن أحداً لم يشهده بنفسه، وإنما أخبرنا الله تعالى عن طريق رسله الكرام، فسيبيله هو النقل الصحيح مما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة.

ولكن الله الذي أخبرنا عن اليوم الآخر، وأوجب علينا الإيمان به، وجعله ركناً من أركان الإيمان، قد أودع الفطرة البشرية القدرة على الإيمان بالغيب، وميز الإنسان بهذا الأمر من بين ما ميزه به وكرمه وفضله.

إن الحيوان يعيش في حدود ما تدركه الحواس فحسب، وعالمه محصور في ذلك النطاق، ولكن الله كرم الإنسان فلم يحصره في حدود ما تدركه حواسه فحسب، وإنما فسح آفاقه ووسعها، ومنحه تلك الخاصية، وهي القدرة على الإيمان بما لا تدركه الحواس، فأصبحت نفسه أرحب وأعمق من الحيوان، وأصبحت آفاقه أوسع وأعلى.

ولكن الجاهليات دائماً تشوه صورة الإنسان، وترده أسفل السافلين بعد أن يكون قد خلقه في أحسن تقويم.

والجاهلية المعاصرة تريد أن ترد الإنسان حيواناً وتحصره في نطاق ما تدركه حواسه فحسب! تريد أن تنزع عنه تلك الكرامة التي كرمه الله بها، وتلغي من عالمه عالم الغيب كله، بحجة الواقعية والروح العلمية!! ومن ثم تنتكس بالإنسان روحياً ونفسياً وخلقياً، وتفقدته إنسانيته في النهاية. [3]..

وجوب الإيمان باليوم الآخر وأدلته:

الإيمان باليوم الآخر دل عليه القرآن والسنة النبوية، والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر، وتفصيل ما فيه، وتقرير ذلك بالأخبار الصادقة والأمثال المضروبة للاعتبار والإرشاد، وكما ذكر القرآن الأدلة عليه، رد على منكريه، وبين كذبهم وافتراءتهم.

والفطرة السليمة تدل عليه وتهدى إليه، ولا صحة لما يزعمه الضالون من أن العقول تنفي وقوع البعث والنشور، فإن العقول لا تمنع وقوعه، والأنبياء لا يأتون بما تحيل العقول وقوعه، وإن جاءوا بما يحير العقول، ولذلك قال علماءنا:

الشرائع تأتي بمحارات العقول، لا بمحالات العقول. [4]

¹ - علي محمد مقبول الأهدل: موقع الألوكة الرابط التالي <https://shortlink.uk/1uwav>

أما الأدلة الدالة على البعث والنشور واليوم الآخر فهي كثيرة جداً، نذكر منها ما يلي:

أولاً: الإقسام على وقوع البعث:

قال الله تعالى آمراً نبيه أن يقسم بربه على أن البعث حق لا ريب، وأنه لا بد من وقوعه، ومحاسبة أولئك المكذبين الجاحدين له، وأن ذلك لا يعجز الله تعالى؛ بل هو عليه يسير: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: 7]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: 3]، ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: 53].

ففي الآيات السابقة يأمر الله نبيه - وهو الصادق المصدوق - أن يقسم على وقوع البحث والجزاء، وأنه واقع لا محالة، ومعلوم أنه ولو لم يقسم صلى الله عليه وسلم على وقوع البعث، لتلقى المؤمنون خبره بالتصديق التام، وعدم وجود أدنى شك في ذلك، وكان ذلك الإخبار كافياً لصحة ثبوته. [5]

ثانياً: التنبيه بالنشأة الأولى على النشأة الثانية:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْآ لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 49-52].. ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يس: 77 - 80]، ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكَتُوبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104].. ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾ [مريم: 66، 67].

ففي هذه الآيات المباركة يوضح سبحانه لعباده أنه يعيد المخلوقات بعد أن يموتوا ويبلوا في الأرض، فكما أنه أنشأهم أول مرة وأوجدهم من العدم، لا يعجزه أن ينشئهم مرة أخرى، ومعلوم أن النشأة الأخرى تكون أهون من النشأة الأولى.

والله وإن كان يسهل عليه النشأة الأولى والنشأة الثانية على حد سواء لكن - والقرآن يخاطب البشر - يبين لهم تنزلاً مع عقولهم دليلاً لا يستطيعون جحده، ويعرفون صدقه في أنفسهم، وهو أن من قدر على النشأة الأولى فهو على النشأة الثانية أقدر من باب أولى، فإذا كان في عرف البشر أن النشأة الثانية لأي شيء كان أسهل عليهم من النشأة الأولى؛ أفلا يليق بالله تعالى وهو القادر على كل شيء أن تكون النشأة الثانية أهون عليه، وهذه حجة قوية ظاهرة لا يستطيع دفعها إلا من كابر عقله وأجحف في حق ربه. [6] لكن لماذا ينكرون هذا مع وضوح الحجة وقوتها؟

السبب الغفلة عن النشأة الأولى تستهول هذا الأمر: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: 66]. إنه اعتراض منشؤه غفلة الإنسان عن نشأته الأولى.

فأين كان؟ وكيف كان؟ إنه لم يكن ثم كان، والبعث أقرب إلى التصور من النشأة الأولى لو أنه تذكر ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾ [مريم: 7].

ثالثاً: التنبيه بخلق السموات والأرض على إحياء الموتى أو النظر في مخلوقات أكبر وأعظم من خلق الإنسان:

إن من جملة ما خلق الله تعالى ما هو أعظم من خلق الناس؛ فكيف يقال للذي خلق السموات والأرض: أنت لا تستطيع أن تخلق ما دونها: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَحْيِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: 33].. ﴿لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57].

إن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على خلق هذا الإنسان الضعيف؛ لننظر إلى قدرة الله في هذا الكون، يقول العلماء: إن أقرب نجم إلينا يبعد عن الشمس فوق الأربع من السنوات الضوئية؛ أي أن النور وسرعته (186000) ميل

في الثانية، يقطع المسافة من الشمس إلى أقرب نجم في نحو أربع سنوات؛ إنه على مسافة تبلغ: (26.000.000.000.000) ميل، وقالوا: المجرة قرص عظيم، وهي قرص مفرطح كالرغيف، وقطر القرص نحو من (100.000) سنة ضوئية، والسنة الضوئية نحو من (600) ألف مليون مليون، وارتفاعه عشر ذلك.

وهناك مجرات أخرى كثيرة في الكون غير المجرة التي تتبعها مجموعتنا الشمسية.

وهذه الذنبيات التي تشبه مجرتنا.. كم عددها؟ مائة؟ ألف؟ ألفان؟ لا؛ إنها مائة مليون من المجرات، مائة مليون جزيرة في فضاء هذا الكون الواسع وقد تزيد ..

هذا في المحيط الخارجي للكون، وهو مظهر واحد يعجز عن حمله الخيال وتعجز العقول ..

فلننظر في الأرض وحدها، تلك الذرة الهائلة في الفضاء.

هباءة منتشرة في محيط الكون، لا تمسكها إلا القدرة الخالقة المبدعة .

كم جبلاً بها؟ وكم نهراً وكم بحيرة وكم بحراً؟ كم كهفاً في جبالها؟ وكم حفرة في أراضيها؟ كم نقطة من المطر تهبط إليها، وكم ذرة من البخار تصعد منها أثناء الليل وأطراف النهار؟ وكم بها من أنواع الحياة: الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية؟

كم ألفاً من صنوف النبات على وجه الأرض؟ وأي دقائق تفرق بين نبات ونبات، ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصُنُوفٌ غَيْرٌ صُنُوفٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: 4].

وكم ألفاً من صنوف الحيوان والطيور والحشرات في السهول والفيافي والقفار والوديان والغابات؟

وكم من ملايين البشر من مختلف الألوان واللغات والأفكار؟

بل النباتات الواحد والحيوان الواحد والإنسان الواحد كم فيه من معجزات الخلق؟

الزهرة الواحدة البديعة التناسق المعجزة التلوين؛ هل يفرغ الإنسان من تأملها؟ إن فيها من تعدد الألوان وتدرجها، وتناسقها، وما فيها من جاذبية للعين والحس. [8]...

وصدق ابن عباس حين قال: "تفكروا في مخلوقات الله، ولا تفكروا في ذات الله ."

وعظمة الخالق لا يمكن للعقل البشري أن يتصورها قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: 255]. وقال في سورة الزمر: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: 67].

فإذا كانت هذه قدرة الله العظيمة؛ فكيف ينكر هذا الإنسان الضعيف البعث..؟! روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة قال: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟" [9]، وروى البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: "جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله - سبحانه وتعالى - يجعل السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: 67] [10] [11]."

فإذا كانت هذه قدرة الله وعظمته فهل يليق بهذا الإنسان الضعيف أن ينكر قدرته سبحانه على البعث والنشور والجزاء والحساب..؟! !

ثم إن المنكر للبعث لو تفكر في خلقه وخلق غيره، لعجز عن الإحاطة بهذه القدرة العظيمة في خلق الله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: 2، 3]، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21].

إن الله خلق كل شيء فسواه، وأكمل صنعه، وبلغ به غاية الكمال الذي يناسبه.. وهو سبحانه الذي قدر لكل مخلوق وظيفته وغايته، فهداه إلى ما خلقه لأجله، وألهمه غاية وجوده؛ وقدر له ما يصلحه مدة بقائه، وهداه إليه أيضاً..

وهذه الحقيقة الكبرى ماثلة في كل شيء في هذا الوجود؛ يشهد بها كل شيء في رحاب الوجود، من الكبير إلى الصغير، ومن الجليل إلى الحقير، كل شيء مسوى في صنعه، كامل في خلقته، معد لأداء وظيفته، ومثال ذلك:

إن الطيور لها غريزة العودة إلى الموطن، فعصفور الهزاز الذي عشش ببابك يهاجر جنوباً في الخريف، ولكنه يعود إلى عشه في الربيع التالي، وفي شهر سبتمبر تطير أسراب من معظم الطيور في أمريكا إلى الجنوب، وقد تقطع في الغالب نحو ألف ميل فوق أرض البحار، ولكنها لا تضل طريقها.

والبومة تستطيع أن تبصر الفأر الدافئ اللطيف وهو يجري على العشب البارد مهما تكن ظلمة الليل.

وإذا حمل الريح فراشة أنثى من خلال نافذة إلى عليّة بيتك، فإنها لا تلبث حتى ترسل إشارة خفية؛ وقد يكون الذكر على مسافة بعيدة؛ ولكنه يتلقى هذه الإشارة ويجاوبها، مهما أحدثت أنت من راحة بعملك لتضليلهما.. ترى هل لتلك المخلوقات الضئيلة محطة إذاعة؟ وهل لذكر الفراشة جهاز راديو عقلي، فضلاً عن السلك اللاقط للصوت (إيريال)؟ أتراها تهز الأثير فهو يتلقى الاهتزاز؟!

في بعض أنواع النمل يأتي العملة العمال (منه بحبوب صغيرة لإطعام غيرها من النمل في فصل الشتاء.

وينشئ النمل ما هو معروف) بمخزن الطحن (وفيه يقوم النمل الذي أوتي أفكاً كبيراً معدة للطحن بإعداد الطعام للمستعمرة، وهذا هو شاغلها الوحيد، وحين يأتي الخريف، وتكون الحبوب كلها قد طحنت؛ فإن أعظم خير لأكثر عدد، يتطلب ذلك حفظ تلك المنونة من الطعام. وما دام الجيل الجديد سينتظم كثيراً من النمل الطحان؛ فإن جنود النمل تقتل النمل الطاحن الموجود، ولعلها ترضي ضميرها الحشري بأن ذلك النمل قد نال جزاءه الكافي؛ إذ كانت له الفرصة الأولى في الإفادة من الغذاء أثناء طحنه..

لا شك أن هناك خالقاً أرشدها إلى كل ذلك، وأرشد غيرها من الخلائق، كبيرها وصغيرها. إلى كل ذلك إنه ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 50-121].

أيعجز بعد ذلك هذا الخالق العظيم على أن يبعث الناس من قبورهم للجزاء والحساب، حسب ما قدره وما خلقه لهم ..

أما عن الإنسان نفسه الذي ينكر البعث قال الله تعالى له: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21]، هذا المخلوق الإنساني هو العجيبة الكبرى في هذه الأرض، ولكنه يغفل عن قيمته، وعن أسرارها الكامنة في كيانه، حين يغفل قلبه عن الإيمان، وحين يحرم نعمة اليقين.

إنه عجيبة في تكوينه الجسماني: في أسرار هذا الجسد، عجيبة في تكوينه الروحي: في أسرار هذه النفس، وهو عجيبة في ظاهره وعجيبة في باطنه، وهو يمثل هذا الكون وأسراره وخفائيه:

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وحيثما وقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه التقى بأسرار تدهش وتحير: تكوين أعضائه، وتوزيعها، ووظائفها، وطريقة أدائها لهذه الوظائف، عملية الهضم والامتصاص، عملية التنفس والاحتراق، دورة الدم في القلب والعروق، الجهاز العصبي وتركيبه، وإدارته للجسم...و[13].، ومثال بسيط على ذلك:

السمع والبصر ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: 23].

السمع والبصر معجزتان كبيرتان عرف عنهما بعض خواصهما العجيبة، يقول العلم الحديث: "تبدأ حاسة السمع بالأذن الخارجية، ولا يعلم إلا الله أين تنتهي؛ ثم إن الاهتزاز الذي يحدثه الصوت في الهواء ينقل إلى الأذن التي تنظم دخوله،

سادساً: تنزه الله عن العبث في الخلق وأن حكمة الله تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: 115]، ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة: 36].

والمعنى الذي تشير إليه الآيتان وأمثالهما: أن الخلق يصبح عبثاً وباطلاً إذا لم يكن هناك يوم آخر يبعث فيه الناس، ويحاسبون على أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا؛ أي: أن الحياة تصبح عبثاً، وخلق السموات والأرض يصبح باطلاً لو كانت الحياة الدنيا هي نهاية المطاف .

ونستطيع أن ندرك الحكمة من ذلك بعقولنا: فنحن نشاهد في حياتنا الدنيا ظالمين ظلوا ظالمين حتى لحظة الموت، ومظلومين ظلوا مظلومين إلى آخر حياتهم، أفان كانت الحياة الدنيا هي نهاية المطاف يكون عدلاً وحكمة؟ وأين هو العدل والظالم لم يقتص منه والمظلوم لم يقتص له؟! وأين هي الحكمة في خلق حياة تجري أحداثها على غير مقتضى العدل ثم تنتهي على هذه الصورة؟..

ونشاهد عصاة لا يفقون عند حدود الله التي أمر الله بها، وينتهبون اللذات في الحياة الدنيا، وآخرين التزموا بأمر الله فلم يأخذوا من المتاع إلا ما أحل الله، وهو -في الدنيا- قدر أقل دون شك مما يستمتع به العصاة الغارقون في الملذات. أفان كانت الحياة الدنيا هي نهاية هؤلاء وهؤلاء يكون الأمر حقاً وعدلاً؟! هل تستقيم الأمور بأن ينهب من أراد نهيبته ويمضي بها بغير حساب، بينما الملتزم يحرم نفسه من المتاع الزائد ثم يمضي بحرمانه بغير ثواب؟! كلا بغير شك! ولا يجوز ذلك في حق الله .

لا يجوز في حق عدالته وحكمته سبحانه أن الأمور على هذه الصورة؛ بل تكون الحياة عبثاً لا معنى لها ولا حكمة فيها.

من أجل ذلك نجد القرآن يربط في كثير من آياته بين خلق السموات والأرض بالحق وبين بعث الناس لسؤالهم عما عملوا في الحياة الدنيا ومجازاتهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: 7] ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الملك: 2]. [16]

[1] نظرات في العقيدة الإسلامية، مجموعة مؤلفين، (ص: 71).

[2] الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، (ص: 89).

[3] ركائز الإيمان، (ص: 393).

[4] القيامة الكبرى، د. عمر الأشقر، (ص: 73).

[5] الحياة الآخرة، د. غالب عواجي، (1/78).

[6] الحياة الآخرة، د. غالب عواجي. (1/81)

[7] اليوم الآخر في ظلال القرآن، أحمد فائز (ص: 27).

[8] انظر: قبسات حول الرسول، (ص: 65).

[9] أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب (44) يقبض الله الأرض (192/7) ومسلم في كتاب المنافقين (2147/3) حديث رقم (23).

[10] الحديث أخرجه: مسلم في كتاب المنافقين (2147/3) حديث رقم (19)

[11] راجع: مختصر تفسير ابن كثير؛ لأحمد شاكر، (198/3) والتفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (23/50).

[\[12\]](#) للتوسع في هذه الأمثلة العجيبة راجع: العلم يدعو إلى الإيمان، ترجمة محمود صالح الفلكي. وراجع في ظلال القرآن، (3884/6) وما بعدها.

[\[13\]](#) في ظلال القرآن. (6/3379) :

[\[14\]](#) العلم يدعو للإيمان، محمود صالح الفلكي، (ص:113).

[\[15\]](#) انظر فيما سبق، الحياة الآخرة، د. غالب عواجي، (1/88)

[\[16\]](#) ركائز الإيمان، (ص:395).

الإيمان باليوم الآخر وأثاره النفسية: د. سمير مثنى علي الأبارة

الإيمان بيوم الدين كآية من كليات العقيدة الإسلامية، لها آثار طيبة على نفس الإنسان وحياته وسلوكه في الدنيا، لأنه يجعل الإنسان يعلق نظره ورجاءه بالله تعالى في عالم آخر بعد عالم الأرض، فلا تستبد به ضرورات الحياة الدنيا، ولا يستبد به القلق على تحقيق جزاء سعيه في عمره القصير المحدود، وبذلك يملك القوة على العمل لوجه الله وانتظار الجزاء حيث يقدره الله، في طمأنينة وثقة ويقين في الله. وفي إصرار على الحق ولو كان مرأً. ومن ثم فإن الإيمان باليوم الآخر يمثل مفرق الطريق في حياة الإنسان بين العبودية للنزوات والشهوات، وبين التعلق بالقيم الروحانية والاستعلاء على القيم الأرضية.

الإيمان بحياة أخرى بعد الموت له أثر بالغ في حياة الإنسان وسلوكه وأخلاقه. المؤمن بالآخرة يفعل الخير، وإن كان يبدو غير مريح له في الدنيا، ويتجنب الشر، وإن كان يبدو مريحاً، لأنه يقدر الأمور بعواقبها النهائية، وليس بمدى موافقتها لنزواته وغرائزه.

المؤمن بالآخرة وبالحساب بين يدي الله يراقب أفعاله ويحاسب نفسه، ويكون حريصاً على ألا يضيع سعادته الأبدية مقابل مكسب دنيوي عابر.

هناك فرق جوهري بين المؤمن بالآخرة وبين الكافر بها، في أخلاقهما، وفي مقاييسهما، ونظرتهما إلى الأمور، العمل الحسن في نظر الكافر هو كل ما يجلب له كسباً وربحاً في الدنيا، وكل همه إشباع رغباته الذاتية، لا يتحرج من استخدام الوسائل الظالمة لبلوغ أهدافه، والعمل السيء في نظره هو كل ما يدخل ضرراً على مصالحه الدنيوية، أو يحول بينه وبين إشباع شهوة من شهواته.

أما المؤمن بالآخرة فالعمل الحسن في نظره هو كل ما يرضى الله عز وجل. والعمل السيئ هو كل ما يؤدي إلى غضبه، والعمل الحسن يكون حسناً، في نظر المؤمن، وإن لم يجلب له منفعة شخصية عاجلة في الدنيا. بل يكون حسناً وإن كان مضراً ببعض مصالحه الدنيوية لأنه على ثقة من أن الله سيجازيه في الحياة الدائمة.

المؤمن بالآخرة لا يسلم بنسبية الأخلاق، لأنها قيم ثابتة مطلقة منزلة من عند الله، لهذا كله فإن الإيمان بالآخرة هو الذي يجعل الإنسان يختار في الدنيا طريقاً أو سلوكاً دون آخر.

وفي الحقيقة يستحيل أن يكون الإنسان صالحاً إذا كان كافراً باليوم الآخر، لأن إنكار الحياة الأخرى والحساب يقتلع الإحساس بالمسؤولية من قلبه ويهبط به من مستوى الإنسانية المكرمة إلى مستوى أسفل الحيوانات.

والإيمان بالآخرة يفيض السلام والسكينة على روح المؤمن وشعوره، ويبعد عنه القلق والسخط والقنوط، الإيمان بالآخرة يعني الإيمان بأن الحساب الختامي ليس في هذه الدنيا، بل هو هناك في الحياة الأخرى حيث العدالة المطلقة مضمونة بين يدي الله، فلا ندم إذن في قلب المؤمن، ولا قلق ولا قنوط بسبب ما يقع للإنسان في الحياة الدنيا، فالعدل والجزاء واقع لا شك فيه.

والإيمان بالآخرة حارس للقيم الأخلاقية النبيلة، حاجز دون الاندفاع في الصراع المحموم على متاع الدنيا، ذلك الصراع الذي تداس فيه القيم والحرمان والأخلاق وأوامر الله ونواهيه بلا حرج ولا حياء.

ثم أن معرفة المؤمن بأن غاية الوجود الإنساني هي العبادة، وأنه مخلوق ليعبد الله، من شأنها، ولاشك، أن ترتقي به إلى هذا المستوى الرفيع من الأخلاق، ترتقي بشعوره واهتماماته وأنشطته وأعماله، وتنظف وسائله، فهو يقصد بنشاطه وعمله، وكسبه وإنفاقه، عبادة الله تعالى، وهو يريد بامتثال كل أمر واجتناب كل نهي، العبادة فأولى به، وذلك هو قصده النبيل، ألا يغدر ولا يفجر ولا يغش ولا يخدع، ولا يظغى ولا يتجبر، وأولى به ألا يستخدم أداة مدنسة، ولا وسيلة خسيسة.

الإيمان بالآخرة ليس طريقاً للثواب في الآخرة فحسب كما يعتقد بعض الناس، إنما هو حافز، كذلك، على الخير في الحياة الدنيا، حافز على إصلاحها وإنانها، إنه وسيلة لتحقيق حياة كريمة لائقة بالإنسان الذي كرمه الله وفضله على كثير من خلقه. ورفعته عن درك الحيوان، لتكون اهتماماته وأهدافه أرفع من ضرورات الحيوان.

إن الإيمان بالآخرة، وبما وعد الله به فيها من الجزاء الأوفى، إذا رسخ في القلب تحول إلى قوة دافعة تجعل الإنسان مستعداً للبذل والعطاء والتضحية في سبيل الخير والصلاح، وتجعل خلقه وسلوكه مستقيماً، وتجعل الأوضاع الاجتماعية سالحة قوية، لأن الأفراد إذا كانوا صالحين، فإنهم لا يتركون أحوالهم الاجتماعية تفسد وتحرف. ولكي يبقى الإيمان بالله وباليوم الآخر قوة حية في الضمير تدفع إلى الخير، وتحبس عن الشر، فرض الله العبادات وحدَّ الحدود، لتكون وسيلة لتجديد الإيمان وزيادته وتقويته، وبقدر ما يداوم الإنسان عليها يكون تجدد إيمانه وتأثيره في النفس والسلوك والأخلاق.

الإيمان باليوم الآخر وأدلتها (1) د. خالد بن محمود بن عبدالعزيز الجهني

يتحقق الإيمان باليوم الآخر بسبعة أشياء:

الإيمان بالبعث: «البعث» هو إحياء الموتى من قبورهم للحساب يوم القيامة. [1]

ومن الأدلة على إحياء الله الموتى يوم القيامة:

قول الله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) [يس: 78، 79].

وقول الله تعالى: (مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَفْئُوسٍ وَّاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [لقمان: 28].

وقول الله تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: 104].

وقول الله تعالى: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [التغابن: 7].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا بَيْنَ النَّفَخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قال: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قال: آيِبْتُ [2]، قال: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قال: آيِبْتُ، قال: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قال: آيِبْتُ، قال: «ثُمَّ يُنَزَّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ [3]، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ [4]، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [5].»

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تُخَيَّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعُقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيْمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى [6].»

الإيمان بالحشر: «الحشر» هو الجمع بعد الموت، وسمي يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث والنشر. [7]

ومن الأدلة على حشر الناس يوم القيامة:

قول الله تعالى: (وَحَشَرْنَا لَهُمْ فَلَمَّ نَعَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا) [الكهف: 47].

وقول الله تعالى: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) [إبراهيم: 48].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَاءً عَرَاءً غُرْلًا» [8]، قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ [9].»

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ خِفَاءً عَرَاءً غُرْلًا»، ثُمَّ قَرَأَ: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: 104]. [10]

الإيمان بالحوض: «الحوض» مورد ماء عظيم يعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة؛ ليشرب منه هو، وأُمَّته ﷺ ومن الأدلة على الحوض:

قول الله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوتِرَ) [الكوثر: 1]، والحوض يأتي ماؤه من نهر الكوثر.

وعن أبي عبيدة، عن عائشة رضي الله عنها، قال: سألتها عن قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوتِرَ) [الكوثر: 1]، قالت: «نَهْرٌ أُعْطِيَهِ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَاطِئُهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوِّفٌ، آيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ [11].»

وتردّه أمته ﷺ، فيشربون منه.

فَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ، قَالَ: «فَاتَّخَمَ سَتْرُونَ بَعْدِي أَثْرَةً [12]، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ. [13]»

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ. [15]» [14]

ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

لحديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَبِيئُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ أَحَرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ [16] فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرَضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ. [17]»

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرَقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِبْرَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا. [18]»

ويذاد عن الحوض مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ كَمَا يَذُودُ السَّاقِي النَّاقَةَ الْغَرِيبَةَ عَنِ إِبِلِهِ إِذَا أَرَادَتْ الشَّرْبَ مَعَ إِبِلِهِ. [19]

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِلْأُدُودِ عَنِ حَوْضِي رِجَالًا كَمَا تُنَادُ الْغَرِيبَةَ مِنَ الْإِبِلِ. [20]»

وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيُرَدَّنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ، حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتَلَجُوا [21] دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُونَ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. [22]»

قال القاضي: «هؤلاء صنفان:

أحدهما: عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام، وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة.

والثاني: مرتدون إلى الكفر حقيقة ناكسون على أعقابهم.

واسم التبديل يشمل الصنفين. [23]»

«الإيمان بالميزان»: «الذي توزن فيه أعمال العباد، ومن معتقد أهل السنة والجماعة، أن الميزان له لسان وله كفتان، كما في حديث ابن عباسٍ أَنَّهُ قَالَ: «الْمِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ، وَكِفْتَانٌ يُوزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ، فَيَوْتَى بِالْحَسَنَاتِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَنُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَتُنْقَلُ عَلَى السَّيِّئَاتِ. [24]»

ومن الأدلة على الميزان:

قول الله تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: 8، 9].

وقول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: 47].

وقول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: 102، 103].

وقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ [القارعة: 6 - 10].

قوله: ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ [المؤمنون: 102][الأعراف: 8]: أي من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. [25]

قوله: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: 8][المؤمنون: 102]: أي الذين فازوا فنجوا من النار، وأدخلوا الجنة. [26]

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ». [27]

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَجِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ». [28]

قال أبو إسحاق الزجاج: «أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال؛ ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين. [29]

[1] انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص. (132)

[2] أبيت: أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوماً، أو سنة، أو شهراً بل الذي أجزم به أنها أربعون. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (18 / 91)].

[3] ينبت البقل: أي شينا فشينا من الأرض، والبقل هو كل نبات اخضرت به الأرض. [انظر: فيض القدير، للمناوي (432/5)، ودليل الفالحين، للبكري، ومقاييس اللغة، مادة «بقل»].

[4] عجب الذنب: أي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، وهو رأس العُصْصُص، وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (18 / 92)].

[5] متفق عليه: رواه البخاري (4935)، ومسلم. (2955)

[6] صحيح: رواه البخاري. (2412)

[7] انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص (237)، ولسان العرب، مادة «حشر».

[8] غرلا: أي غير مختونين، والغرل: جمع الأغرل، وهو الأقف، أي غير المختون. [انظر: النهاية في غريب الحديث (3 / 362)].

[9] متفق عليه: رواه البخاري (6527)، ومسلم (2859)، واللفظ له.

[10] متفق عليه: رواه البخاري (3349)، ومسلم. (2860)

[11] صحيح: رواه البخاري. (4965)

[12] أثره: أي يفضل عليكم غيركم في الأموال. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (12 / 232)].

[13] متفق عليه: رواه البخاري (3163)، ومسلم. (1061)

[14] أنا فرطكم على الحوض: أي متقدمكم إليه. [انظر: النهاية في غريب الحديث (3 / 434)].

[15] متفق عليه: رواه البخاري (6575)، ومسلم. (2289)

[16] يشخب: أي يسيل. [انظر: النهاية في غريب الحديث (2 / 450)].

- [17] صحيح: رواه مسلم. (2300)
- [18] صحيح: رواه مسلم. (2292)
- [19] انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي. (15 / 64)
- [20] صحيح: رواه مسلم. (2302)
- [21] اختلجوا: أي اقتطعوا. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (15 / 64)].
- [22] متفق عليه: رواه البخاري (6582)، ومسلم. (2304)
- [23] انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي. (15 / 64-65)
- [24] رواه البيهقي في الشعب. (1 / 447)
- [25] انظر: تفسير ابن كثير. (5 / 496)
- [26] انظر: السابق. (5 / 496)
- [27] صحيح: رواه أبو داود (4749)، والترمذي (2003)، وأحمد (27496)، وصححه الألباني.
- [28] صحيح: رواه أحمد (3991)، وصححه أحمد شاكر.
- [29] انظر: فتح الباري، لابن حجر. (13 / 538)

الإيمان باليوم الآخر وأدلتها (2) د. خالد بن محمود بن عبد العزيز الجهني

تكملة للأمر التي يتحقق بها الإيمان : الإيمان بالشفاعة : «أي لأهل التوحيد» .

والشفاعة : هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم من الذي وقع الجناية في حقه. [1]

والشفاعة أنواع، أعظمها الشفاعة في أهل الموقف، لبدء الحساب، لنبينا صلى الله عليه وسلم .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا فَيَسْتَجَابُ لَهُ، فَيُوتَاهَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.» [2]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأَحَلَّتْ لِي الْمَعَانِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً.» [3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلحمة فرفع إليه الذراع، وكانت تَعْجِبُهُ فَهَشَّ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَذَرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوْلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ، وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ» [4]، وَتَذْنُو السَّمْسُ، فَيُبْلَغُ النَّاسَ مِنَ الْعَمِّ، وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيفُونَ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ .

فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟

فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْنَا بِأَدَمَ، فَيَأْتُونَ أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟

فَيَقُولُ أَدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَيَّ نُوحَ .

فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَيَّ إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ، وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَيَّ مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أَوْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَيَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ.

فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَيَّ مَرْيَمَ وَرُوحَ مِنْهُ، وَكَلِمَتُ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذُكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَيَّ مُحَمَّدًا.

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ .

فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي.

ثُمَّ يَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلِّ تَعْطَهُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي.

فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ.

فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ.

ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ [5] مِنْ مِصْرَاعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحَمِيرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى [6].»

ويشفع النبي صلى الله عليه وسلم في استفتاح باب الجنة، وهي خاصة به صلى الله عليه وسلم.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا [7].»

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ [8].»

ويشفع النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكباير من أمته، وهذه الشفاعة عامة للملائكة، والأنبياء، والمؤمنين.

فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ [9].»

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَتِ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَتِ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا [10]، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ [11]، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصْفِرُّ وَأُخْضِرُّ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّوْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمِ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَوْلًا عَقَاءَ اللَّهِ الَّذِينَ ادْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمَلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا [12].»

«الإيمان بالصراط»: الصراط جسر على ظهر جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف، يمر عليه الناس يوم القيامة ومن أدلته:

قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: 71].

قال ابن أبي العز الحنفي: «الأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط [13].»

قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاعِكُمْ فَاَلْتَمِسُوا نُورًا فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ *يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ

مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ *فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿ [الحديد: 12 - 15]

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهَا ذَكَرَتْ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟» قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيَّخَفَ مِيزَانُهُ، أَوْ يُنْقَلُ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ﴾ [الحاقة: 19] حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيَّنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ، أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ. [14]»

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَلَّغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السِّيفِ. [15]»

قال السفاريني: «اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم أحد من السيف، وأدق من الشعر. [16]»

وَيَجُوزُ الْعِبَادُ الصِّرَاطَ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَجُوزُهُ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجُوزُهُ كَالْبَرِّقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «... ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مِزْلَةٌ [17]، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ، وَحَسَكَةٌ [18] مُفْلَطْحَةٌ [19] لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيقَاءُ [20]، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ [21]، وَكَالْبَرِّقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَتَأْجِحُ مُسَلَّمٌ، وَتَأْجِحُ مَخْدُوشٌ، وَمَخْدُوشٌ نَاجٌ، فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا. [23]»

والذين ينجون من الصراط يتفاوتون في سرعة المرور عليه؛ كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه المتقدم.

وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «... وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، فَتَقُومَانِ جَنِبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرِّقِ» قَالَ: قُلْتُ: بِأَيِّ أُمَّتٍ وَأَيِّ شَيْءٍ كَمَرَ الْبَرِّقُ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرِّقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرَ الرِّيحَ، ثُمَّ كَمَرَ الطَّيْرَ، وَشَدَّ الرَّجَالَ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيَّتُكُمْ قَائِمَةً عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّىٰ تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا»، قَالَ: وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيبٌ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٌ، وَمَخْدُوشٌ فِي النَّارِ. [24]

«الإيمان بالجنة»: الجنة هي دار الثواب التي أعدها الله لأوليائه. وهي موجودة الآن.

لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 133]

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [الحديد: 21]

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ. [25]»

وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، فَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُّؤْمِنَةٌ. [26]

وَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا، وَلَا يَمُوتُ فِيهَا. لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ ﴾ [هود: 108].

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: 15].

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء:

] 13

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَلِأَهْلِ النَّارِ: يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ.» [27]

والجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17].

وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: 35].

"النار": النار هي دار العقاب التي أعدها الله لأعدائه.

وهي موجودة الآن. لقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 131]

وقول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: 11]

قال ابن أبي العز الحنفي: «اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.» [28]

والنار هي مأوى الكفار، والمنافقين، ومن شاء الله من عصاة المؤمنين. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: 150، 151].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145].

ومن دخل النار من الكفار، والمنافقين النفاق الاعترادي، لا يخرج منها، ولا يموت فيها. لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: 161، 162].

وقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 106، 107].

وقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤِيمٌ﴾ [التوبة: 68].

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 64، 65].

وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: 10].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَدِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، كُلُّ خَالِدٍ فِيمَا هُوَ فِيهِ.» [29]

[1] انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (2/ 485)، والتعريفات، للشريف الجرجاني، ص. (127)

[2] متفق عليه: رواه البخاري (6304)، ومسلم (199)، واللفظ له.

[3] متفق عليه: رواه البخاري (335)، ومسلم (521).

[4] يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ: أي ينفذهم بصر الرحمن حتى يأتي عليهم كلهم. [انظر: النهاية في غريب الحديث (5/ 91)].

- [5] مصراعين: المصراعان هما جانباً الباب. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (3/ 69)].
- [6] متفق عليه: رواه البخاري (4712)، ومسلم (193).
- [7] صحيح: رواه مسلم (196).
- [8] صحيح: رواه مسلم (197).
- [9] صحيح: رواه مسلم (6566).
- [10] حمما: أي فحماً. [انظر: النهاية في غريب الحديث (1/ 444)].
- [11] حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين، أو غثاء، وغيره. [انظر: النهاية في غريب الحديث (1/ 442)].
- [12] صحيح: رواه مسلم (183).
- [13] انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (2/ 634).
- [14] صحيح: رواه أبو داود (4755)، والترمذي (2235)، وصححه الألباني.
- [15] صحيح: رواه مسلم (183).
- [16] انظر: لوامع الأنوار، للسفاريني (2/ 192).
- [17] مدحضة مزلة: أي تزلق فيه الأقدام، والمزلة: مفعلة من زل يزل إذا زلق. [انظر: النهاية في غريب الحديث (2/ 310)، وفتح الباري (11/ 454)].
- [18] حسكة: هي شوكة صلبة معروفة. [انظر: النهاية في غريب الحديث (1/ 386)].
- [19] مقلطحة: المقلطح: الذي فيه عرض واتساع. [انظر: النهاية في غريب الحديث (1/ 471)].
- [20] عقفاء: هي حديدة قد لوي طرفها، وفيها انحناء. [انظر: القاموس المحيط، مادة «عقف»].
- [21] كالطرف: أي كلمح البصر. [انظر: عمدة القاري، للعيني (25/ 130)].
- [22] مكدوس: أي مدفوع. [انظر: النهاية في غريب الحديث (4/ 155)].
- [23] صحيح: رواه البخاري (7439).
- [24] صحيح: رواه مسلم (195).
- [25] متفق عليه: رواه البخاري (3241)، ومسلم (2737).
- [26] صحيح: رواه الترمذي (3092)، والنسائي (2958)، وأحمد (594)، وصححه الألباني.
- [27] صحيح: رواه البخاري (6545).
- [28] انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (2/ 614).
- [29] متفق عليه: رواه البخاري (6544)، ومسلم (2850)، واللفظ له.

الإيمان باليوم الآخر (وقت الساعة - أشرط الساعة) الشيخ عادل يوسف العزازي

هو يوم القيامة، ويوم الساعة: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: 6]، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: 43]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: 34 - 37]، وهو يوم الحاقة، ويوم القارعة، ويوم الواقعة، ويوم التناد، ويوم التلاق، ويوم النشور، ويوم الحشر، ويوم الطامة، ويوم الصاخة، ويوم الزلزلة؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 1، 2].

ويشمل الإيمان بالساعة أمورًا:

الأمر الأول: وقت الساعة من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فلا يعلم أحد متى الساعة إلا الله؛ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاها قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفْتِهَا إِلَّا هُوَ نَقَلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 187]، وفي حديث جبريل: أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟ قال: ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)). [1].

وعلى المؤمن ألا يشغل نفسه بتحديد زمنها؛ فإن كل ذلك رجم بالغيب، وقول غير صحيح، والأليق بالمؤمن أن ينشغل بما ينفعه عندما تقوم الساعة؛ ففي الصحيحين: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ((ماذا أعددت لها؟)) [2]، فوجهه صلى الله عليه وسلم إلى ما ينفعه وما ينبغي أن يسأل عنه.

وبهذا تعلم أن تحديد يوم بعينه، أو عام بعينه بأنه يوم القيامة: قول على الله بلا علم، لكن ثبت في الأحاديث: أنها ستكون في يوم جمعة؛ ففي الحديث: ((خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، ولا تكون الساعة إلا في يوم جمعة)). [3].

الأمر الثاني: أشرط الساعة:

وقد جعل الله لقرب الساعة أمارات وأشرطاً؛ قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: 18]، وهذه الأمارات تنقسم إلى قسمين: صغرى، وكبرى .

أولاً: العلامات الصغرى كثيرة:

بعضها قد وقع، وبعضها يكون مقارناً للعلامات الكبرى، وسوف أذكر بعض الأحاديث التي ورد فيها ذكر العلامات الصغرى دون تتبع وترتيب لها:

• فمنها: ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرض، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب [4] لي به، وحتى يتناول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: 158. 5]. [5].

وهذا الذي ذكر في هذا الحديث من العلامات الصغرى، إلا طلوع الشمس من مغربها؛ فهو من العلامات الكبرى على ما يأتي .

• ومنها: ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: ((اعذُّ سنًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقصاص الغنم[6]، ثم استفاضة المال، حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر[7]، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غايية[8]، تحت كل غايية اثنا عشر ألفاً[9])).

• ومنها: ما تقرر في حديث جبريل: ((أن تَلِدَ الأمة ربها (وفي رواية: ربها)، وأن ترى الحفاة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان)).[10]

• ومنها: ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم قال: ((بُعِثت أنا والساعة كهاتين - وأشار بالسبابة والوسطى - إن كادت لتسبقني)).[11]

• ومنها: ما رواه أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أشرط الساعة: أن يتباهى الناس في المساجد)).[12]

• ومنها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصري)).[13]

• ومنها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من أشرط الساعة أن تقاتلوا قومًا ينتعلون نعال الشعر، وإن من أشرط الساعة أن تقاتلوا قومًا عراضَ الوجوه، كأن وجوههم المَجَانُ المطرقة[15])).[14]، وقد تحقق هذا بقتال التتار.

• ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((يوشك أن يكون خيرَ مال المسلم غَنَمٌ يتبع بها شَعَفَ الجبال[16]، ومواقع القَطْرِ[17]، يفر بدينه من الفتن[18])).

• ومنها كثرة الفتن؛ فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنها ستكون فتن، القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشى خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه))، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرايت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: ((يعمدُ إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينجُ إن استطاع النجاة، اللهم قد بلغت، اللهم قد بلغت))، فقال رجل: يا رسول الله، أرايت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفيين، أو إلى أحد الفنتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: ((يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار)).[19]

• ومنها: ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة[20]، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم[22])).[21]

• ومنها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سيأتي على الناس سنوات خداعات؛ يُصدَّق فيها الكاذب، ويكذَّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة))، قيل: وما الرويبضة؟ قال: ((الرجل التافه يتكلم في أمر العامة)).[23]

• ومنها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صنفان من أمتي لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مانلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المانلة[24]، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا".[25]

• ومنها: ما رواه أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن من أشرط الساعة أن يُرْفَع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد)).[26]

• ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم: ((يتقارب الزمان حتى يكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كالיום، واليوم كاحتراق السعفة)). [27]

• ومنها: ما رواه أبو عامر أو أبو مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحرّ والحريم، والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليها بسارحة لهم يأتيهم بحاجة، يقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيّتهم الله، ويضع العلم، ويمسح آخرين قرده وخنازير إلى يوم القيامة)). [28]

وفي هذا الحديث دليل على تحريم الغناء والموسيقا، ومعنى: "جنب علم"؛ أي: جنب جبل، و"يبيّتهم"؛ أي: يهلكهم ليلاً، و"يضع العلم"؛ أي: يزيله ويسقطه عليهم، و"يمسح"؛ أي: يحول صورتهم إلى صورة القرده والخنازير، كما فعل باليهود.

• ومنها: ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذة بحديث أهله بعده)). [29]، و"العذبة": طرف الشيء.

• ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو)). [30]، وهذه العلامة لم تظهر كالتي قبلها، ويبدو أنها تكون خلال العلامات الكبرى، أو قبلها بقليل جداً.

ومعنى: "يحسر الفرات": يكشف.

تنبيه: نؤمن بخروج المهدي في آخر الزمان:

قبل نزول عيسى يخرج المهدي، والمهدي: من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فعن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((المهدي من عترتي، من ولد فاطمة)). [31]

"عترتي": يعني أهل بيتي.

وهو يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج من عترتي أو من أهل بيتي من يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً)). [32]

وقد ثبت في الأحاديث: أن اسمه محمد بن عبدالله؛ فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يبعث الله فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً". [33]

وأما عن وصفه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المهدي مني، أجلى الجبهة، أقى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك سبع سنين)). [34]

ومعنى "أجلى الجبهة"؛ أي: انحسر شعره عن مقدم رأسه، وأما "أقى الأنف"؛ أي: دقة أرنبة الأنف مع حذب في وسطه.

وفي زمنه يكثر الخير، وتعظم البركة؛ فقد روى الحاكم عن أبي سعيد أيضاً: ((يخرج في أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعمائة أو ثمانمائة، يعني: حججاً)). [35]

وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: ((من خلفانكم خليفة يحثو المال حثياً، ولا يعده عدلاً)). [36]

ومعنى "يحثي المال": الحثو هو الحفن باليدين، وهذا الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات، مع سخاء نفسه. [37]

وفي نهاية حكمه ينزل عيسى ابن مريم؛ كما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟)). [38]

وقد بينت الأحاديث أن عيسى يصلي خلفه؛ ففي حديث جابر رضي الله عنه وفيه: ((... فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمه الله تعالى لهذه الأمة)) [39]، وعند الإمام أحمد وغيره: أن هذه الصلاة هي صلاة الصبح.

فهذه جملة مختصرة مما ورد في أحاديث المهدي، وقد صنفت فيه دواوين ومؤلفات، وقد ورد في شأنه أحاديث صحيحة وحسان وضعيفة، والضعيف لا يعمل به، خاصة في المسألة الغيبية.

هذا، وقد اعتقد الشيعة وغيرهم عقائد باطلة في شأن المهدي؛ فهم يزعمون أن المهدي هو آخر أئمتهم محمد بن الحسن العسكري، وأنه في سرداب سامراء، ولهم في ذلك أساطير وخرافات، وكل ما يقولونه في ذلك باطل لا أساس له من الصحة.

[1] البخاري (50)، (4777)، ومسلم (9) (10)، والنسائي. (8/ 101)

[2] البخاري (3688)، ومسلم. (2639)

[3] مسلم (854)، وأبو داود (1046)، والترمذي (491)، والنسائي. (3/ 113)

[4] لا أرب؛ أي: لا حاجة.

[5] رواه البخاري (7115) (7121)، ومسلم (157) مختصراً.

[6] داء يصيب الغنم، فيسيل من أنوفها شيء، فتموت فجأة.

[7] بنو الأصفر هم الروم، والمقصود هنا: النصارى.

[8] الغاية: الرأية.

[9] رواه البخاري (3176)، وابن ماجه. (4042)

[10] البخاري (50)، ومسلم. (9)

[11] رواه البخاري (5301)، ومسلم. (2950)

[12] رواه أبو داود (449)، والنسائي (32 / 2)، وابن ماجه (739)، وابن خزيمة (1323)، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع. (5895)

[13] رواه البخاري (7118)، ومسلم (2902)، وبصرى بلدة في جنوب الشام، وقد خرجت هذه النار، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، والحافظ ابن كثير في أحداث (654) من كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير.

[14] (المَجَانُّ المَطْرَقَة): (المجان): جمع (مجن) هو الترس والدرع الواقي للمقاتل، (المَطْرَقَة): هي الأخشبية، والجمع (طراق)، وهي جلدة تقدر على قدر الترس وتلصق عليها، وشبه وجوههم بالترس لبسطها وتدويرها، وبالمطرقَة؛ لغلظها وكثرة لحمها، وتنوع وجناتها.

[15] البخاري (2929)، ومسلم (2912)، وأبو داود (4304)، والترمذي. (2215)

[16] الشَّعْف: جمع شعفة: وهي رأس الجبل وقمته.

[17] مواقع القَطْر: هي مواقع المطر.

[18] البخاري (19)، (3600)، وأبو داود (4267)، وابن ماجه (3890)، والنسائي. (8/ 123)

- [19] رواه مسلم. (2887)
- [20] أي يكون التسليم على من يعرف، ولا يسلم على من لا يعرفه.
- [21] أي كثرة الكتابة، والاعتماد عليها، وما أكثرها الآن!
- [22] رواه أحمد (1/ 407)، والحاكم (4/ 110)، وغيرهما، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. (647)
- [23] صحيح: انظر السلسلة الصحيحة. (1887)
- [24] البُخت المائلة: جمع (بختي): وهي الجمال الخراسانية ذات الأعناق الطويلة، والمراد: هو ارتفاع الغدائر والصفائر فوق رؤوسهن، وجمع عقانصها.
- [25] رواه مسلم (2128)، وأحمد. (3/ 355)
- [26] البخاري (80) (5231)، ومسلم. (2671)
- [27] الترمذي (2332)، وأحمد (2/ 537) من حديث أبي هريرة، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع. (7422)
- [28] رواه البخاري تعليقاً (10/ 52)، ووصله أبو داود (4039) وغيرهم.
- [29] رواه أحمد (3/ 83)، وابن حبان (6494)، والحاكم (4/ 514)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. (122)
- [30] رواه مسلم (2894) بلفظه، وهو في الصحيحين بمعناه.
- [31] رواه أبو داود (4284)، وابن ماجه (4086)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع. (6734)
- [32] رواه أحمد (3/ 36)، وإسناده صحيح.
- [33] رواه أبو داود (4282)، وابن حبان (5954)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. (1529)
- [34] أبو داود (4285)، والطبراني في الأوسط (9/ 176)، وصححه الألباني في صحيح الجامع. (6736)
- [35] رواه الحاكم (4/ 600)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. (711)
- [36] مسلم (2914)، وأحمد. (3/ 5)
- [37] انظر شرح النووي على صحيح مسلم.
- [38] رواه البخاري (3449)، ومسلم. (155)
- [39] مسلم (156)، وأحمد. (3/ 384)

ثمرات الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر له ثمرات كثيرة وكبيرة، منها:

1/ عِظَمُ الأجرِ وجزالةِ المثوبة، فإنَّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ من الإيمانِ بالغيبِ الذي وعدَ اللهُ أهلهُ بالاهتداءِ وعظمِ الأجرِ والرِّزقِ الكريمِ والفلاحِ؛ وهو الفوزُ بكلِّ محبوبٍ والنجاةُ من كلِّ مرهوبٍ في الدنيا والآخرة.

2-/ الاجتهاد في كثرة العمل الصالح والاستزادة منه وفق الشرع، رجاء ثقله في الموازين وعظم المثوبة عليه ورفعته الدرجات وحط الخطيئات بسببه.

3-/ الحذر من المعاصي والمخالفات وملازمة التوبة النصوح من الخطيئات؛ حذرًا من عقوباتها في الآخرة.

4-/ تسلية المؤمن عمًا يفوته في الدنيا لما يرجوه من الخلف وحسن العاقبة وجزيل المثوبة في الآخرة.

5-/ الأخذ بأسباب حسن الخاتمة من ملازمة ما يفتح الله تعالى من أبواب العمل الصالح؛ فإنه يُبعث كلَّ عبدٍ على ما مات عليه، والدعاء بحسن الخاتمة، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: 101]، والحذر من الظلم والمخالفات؛ خشية أن يموت على خصلة منها، حذرًا من تحقق قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: 97].

6-/ الاهتمام بأمر القبر وأحوال البرزخ، بالأخذ بأسباب الثبات عند الفتنة وما يترتب عليها؛ من الإخلاص لله في التوحيد، والاستقامة على الشريعة، والاتباع للنبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك كله، والحذر من موجبات الضلال عند الامتحان، والغدب بعد الامتحان من الشك والتقليد الأعمى والانحراف عن القرآن، والوقوع في البدع والشرك، وتجنب الخصال التي صرحت النصوص بأنها من أسباب عذاب القبر؛ كترك الصلاة، وعدم التتره من البول، والوقوع في الغيبة والنميمة، ونحو ذلك.

7-/ محبة ما يحبه الله تعالى من الأشخاص والأماكن والأقوال والأعمال والأحوال؛ لكون ذلك عونًا على الأعمال الصالحة وممًا يثاب عليه المرء في الآخرة، وكراهة ما يكرهه الله تعالى من هذه الأمور والبعد عنها؛ لكونها من أسباب المخالفة وممًا يعاقب عليه المرء في الآخرة.

8-/ تسلية المؤمن عمًا يفوته من نعيم الدنيا ومحابها ومتاعها بما يرجوه عند الله تعالى من عظيم نعيم الآخرة وكثرة ثوابها، فهو نعيم متجدد أبدئ لا ينقطع ولا ينقص ولا يتغير بصدده.

ومن أهمية وثمرات الإيمان باليوم الآخر أيضا:

هذا مقتطف مختار بتصريف من كتاب: (الإيمان باليوم الآخر... أحوال البرزخ، أشراف الساعة، أحوال القيامة) للشيخ د. محمد بن إبراهيم الحمد، حفظه الله تعالى، والآن مع المادة المختارة:

أولاً: أهمية الإيمان باليوم الآخر: للإيمان باليوم الآخر أهمية عظيمة؛ ومما يدل على ذلك ما يلي:

أنه أحد أركان الإيمان الستة: جاء في حديث جبريل المشهور قوله عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان: ((أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)).

كثرة وروده في نصوص الشرع: فقلما تمر على صفحة من القرآن الكريم إلا وتجد فيها حديثاً عن اليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب.

كثرة ارتباطه بالإيمان بالله تعالى: فكثيراً ما يرد في القرآن الكريم، والسنة النبوية ذكر اليوم الآخر مرتبطاً بالإيمان بالله؛ قال الله: ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة: 177]، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه)).

كثرة الثناء على المؤمنين به، والذم للكافرين به: قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: 3]، وقال في وصف الكافرين: ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [هود: 19].

كثرة المؤلفات التي تحدثت عنه: حيث أفرد العلماء رحمهم الله مصنفات خاصة باليوم الآخر، وذكر تفاصيله.

كثرة أسماء اليوم الآخر: فليوم الآخر أسماء كثيرة، والسر في ذلك عظم أمره، وكثرة هوله؛ قال القرطبي رحمه الله: "كل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، وهذا مهيع كلام العرب".

ثانيًا: ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر يُثمر ثمرات جلييلة، وأخلاقًا جميلة، وعبوديات متنوعة، وأثارًا حميدة تعود على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة؛ ومن ذلك ما يلي:

أداء عبادة الله عز وجل: فالإيمان باليوم الآخر مما تعبدنا الله تعالى به، وكمال المخلوق في تحقيقه العبودية لربه زيادة الإيمان: فالإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح إيمان بدونها، وكلما زادت معرفة العبد به، ازداد إيمانه وقوي يقينه، وعلت درجته.

انبعث الرجاء والخوف: فالإيمان باليوم الآخر يحمل على فعل الطاعات؛ رجاءً لثواب ذلك اليوم، ويحمل على ترك المعاصي؛ خوفًا من عقاب ذلك اليوم، فإذا تمت معرفة الإنسان بتفاصيل ذلك، وما فيه من النعيم المقيم لأهل الطاعة، وما فيه من النكال والعذاب الأليم لأهل المعصية، كان ذلك أعظم الدوافع لفعل الخير، واجتناب الشر.

العلم بفضل الله وعدله، وحكمته: حيث يجازي من يستحق العذاب بعدله، ويجازي من يستحق الثواب بفضله، وإنما يُعلم ذلك بمعرفة ما يكون في الآخرة من الجزاء والحساب.

الاعتدال في حال السراء والضراء: فالمؤمن يلزم الاعتدال في هذه الأحوال؛ فلا تُطغيه النعمة، ولا تُفقطه المصيبة؛ فإن كانت السراء أعد لها الشكر، وإن كانت الضراء أعد لها الصبر؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحدٍ غير المؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له))، قال القرطبي رحمه الله: "فاعلم أن ذكر الموت يُورث استشعار الانزعاج من هذه الدار الفانية، والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة، ونعمة ومحنة، فإن كان في حال ضيق ومحنة، فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه؛ فإنه لا يدوم والموت أصعب منه، أو في حال نعمة وسعة، فذكر الموت يمنعه من الاعتزاز بها، والسكون إليها؛ لقطعه عنها.

قيام الأخلاق الجميلة: فالإيمان باليوم الآخر يُورث للإنسان أخلاقًا جميلة؛ فيورثه - على سبيل المثال - خلق البذل والإنفاق؛ لعلمه بأن ما يقدمه في هذه الدنيا سيجده عند الله في الآخرة خيرًا وأبقى، فتراه يؤثر أعمال البر بجانب من ماله ولو كان به خصاصة، وتراه ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر.

والإيمان باليوم الآخر - كذلك - يُورث صاحبه خلق الشجاعة؛ فتراه يقدم في سبيل الله غير هيّاب من الموت؛ لعلمه بأن الموت لن يأتي إلا في وقته، وليقينه بأن الموت إنما هو انتقال من حياة مخلوطة بالمتاعب والمكاره إلى حياة أصفى لذة، وأهنأ راحة، وأبقى نعيمًا.

والإيمان باليوم الآخر يورث صاحبه خلق التواضع؛ لعلمه بأن الكبر لله وحده، وبأن المتكبرين أدل الناس يوم القيامة، وعلى هذه النبذة من الأخلاق، فقس.

تسلية المؤمن عما يفوته في هذه الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة: وبذلك لا ينزعج لحلول مكروهه، أو فوات محبوب؛ لأنه يرجو العوض من الله عز وجل، فيدعوه ذلك إلى السلو، والراحة، وترك التسخط.

وختامًا...

يا أيها المؤمن باليوم الآخر، يا من آمنت بأن ما بعد هذه الحياة دارٌ حق لا ريب فيها، وعاقبة لا مهرب منها، اعلم أن الإيمان بذلك اليوم ليس فكرة في ذهن، ولا معلومة في كتاب، بل هو نور يسري في العروق، يوقظ القلب من سنة الغفلة،

ويجعل للخطوة ميزانًا، وللكلمة حسابًا، وللنظرة موقفًا بين يدي العزيز الجبار، إن الإيمان باليوم الآخر هو القيد الجميل الذي يمنعك أن تظلم، وأن تعش، وأن تلهو لهو الغافلين، وهو الجناح الذي يرفعك فوق فتنة المال والشهوة والمنصب، فإذا نظرت إلى القبر لم تر فيه ظلمة ولا ضيقًا، بل رأيت استراحة بعد التعب، وتمهيدًا لموعده العرض على الملك الحق المبين، فاثبت على هذا الإيمان، فإن الدنيا وإن طال ليئها فصباحها قريب، وإن القافلة وإن تعثرت، فإنها إلى الله سائرة، وما من قطرة دمع في سبيل الله، ولا ضربة صدر من خشية الحساب، ولا صدقة أخفيت في يد يتيمة، إلا وستعرض يومئذ على الله فيسرك بها، ويفرحك بها، ويقر بها عينك، ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: 9، 10]، فهنيئًا لمن زاد إيمانه بذلك اليوم، وأعد له عدته، ونظر إلى ساعة اللقاء كما ينظر المحب إلى موعد الحبيب، فذلك هو الراجح يوم يقوم الناس لرب العالمين.

فيا عبدالله، إن لم يحمك إلى طاعة الله جمال الجنة، فليحمك إلى خشيته هول النار، وإن لم ترق روحك بذكر النعيم المقيم، فلتنخلع رعدةً من تذكر الوقوف بين يديه؛ حيث لا ينطق لسان، ولا يدافع عن النفس سلطان، وإن الإيمان باليوم الآخر - يا أخي - ليس علمًا تحفظه، بل نارًا توقد في القلب، تضيء لك الطريق وسط ظلمات الفتن، وتشدك إلى السماء إذا أثقلتك شهوات الأرض، هو الميزان الذي ترجح به النية، والمكيال الذي توزن به الأعمال، هو الضمانة ألا توكل الحقوق، وألا يُظلم الضعفاء، وألا تُمضي دموع المظلومين في الهواء، ألا تفتيظ، فالعمر دقائق تُعدُّ، والساعة التي تمر لا تعود، واللقاء آتٍ لا محالة، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء، فاجعل لنفسك في ذلك اليوم زادًا، وانهض من غفلتك، وانزع ثوب التواني، وانظر للأخرة كما ينظر التائه إلى مشكاة النجاة، فإنها - والله - النجاة، ولا نجاة سواها.

للإيمان باليوم الآخر واستحضاره واليقين به فوائد عظيمة وثمار يانعة، من أبرزها:

أولاً: تحقيق الإيمان بالله تعالى ورسوخه في القلب، فإن الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان الستة، وهو من الإيمان بالغيب الذي وعد الله تعالى أهله بالاهتداء وعظم الأجر والفلاح؛ وبه الفوز بكل محبوب والنجاة من كل مرهوب في الدنيا والآخرة.

ثانياً: الإيمان باليوم الآخر خير معين وداع إلى الاجتهاد في كثرة العمل الصالح والاستزادة منه، رجاء ثقله في الموازين التي ستنصب يوم الدين، وكتابته في الصحف التي تُنشر ذلك اليوم، فأخذ كتابه باليمين وأخذ كتابه بالشمال.

ثالثاً: الإيمان باليوم الآخر خير معين وداع للحذر من المعاصي والسيئات والإقلاع عنها صغيرة كانت أم كبيرة، وملازمة التوبة النصوح من الخطيئات؛ خوفاً من تبعاتها في ذلك اليوم، وتخفيفها للميزان، وكتابتها في الصحف التي تُنشر ذلك اليوم العظيم.

رابعاً: الإيمان باليوم الآخر خير داع للأخذ بأسباب حسن الخاتمة من ملازمة ما يفتح الله تعالى على العبد من أبواب العمل الصالح؛ فإنه يبعث كل عبد على ما مات عليه، وكثرة الدعاء بحسن الخاتمة، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101].

خامساً: الإيمان باليوم الآخر أشد وأعظم مرهب ومانع من التعدي على حقوق الآخرين وظلمهم، أو أخذ شيء من حقوقهم بغير حق بأي صورة كانت؛ إذ القصاص في ذلك اليوم حاضر وقانم. سادساً: الإيمان باليوم الآخر خير جابر لخواطر ونفوس المظلومين في الدنيا، ومن سلبت حقوقهم بخير حق، أو اعتدي عليهم بلا مبرر أو حجة ظاهرة، لإيمانهم بالقصاص وأخذ حقهم ممن ظلمهم ذلك اليوم حين لا يكون درهم ولا دينار، وإنما حسنات وسيئات، والفصل بيد أحكام الحاكمين سبحانه.

سابعاً: الإيمان باليوم الآخر داع للاهتمام بأمر ما بعد الموت وهو القبر وأحوال البرزخ، وذلك بالأخذ بأسباب الثبات عند الفتنة في القبر وما يتبع ذلك من نعيم أو عذاب؛ ومن أعظم الأسباب الإخلاص لله تعالى بالتوحيد، والاستقامة على الشريعة، وحسن الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم، والحذر من موجبات الضلال عند الامتحان، والعذاب بعد الامتحان من الشك والتقليد الأعمى والانجراف عن القرآن، والوقوع في البدع والشرك، وتجنب الخصال التي ذكر في الكتاب والسنة بأنها من أسباب عذاب القبر؛ كالتهاون بالصلاة، وعدم التزهر من البول، والوقوع في الغيبة والنميمة، ونحو ذلك.

ثامنًا: الإيمان باليوم الآخر خير معين للعبد على فعل الطاعات والقرب وزيادة الرصيد من الحسنات ومجاهدة النفس على ذلك لترتفع منزلته في الجنة، ويسلم من العبن في يوم التغابن، حين يرى غيره أكثر منه حظًا من الأجر والعطاء أو أعلى منه منزلة في الجنة، وقد كان بإمكانه اللحاق به أو سبقه وقد فرط وضيع أو قصر.

تاسعًا: بالإيمان باليوم الآخر تسلية للمؤمن عمًا يفوته من نعيم الدنيا ومحابها ومتاعها، وكذا المبتلى في هذه الدار خير معين له على الصبر على بلائه ما يرجوه عند الله تعالى من عظيم نعيم الآخرة وكثرة ثوابها والعوض الحسن في الجنة، فهو نعيم متجدد أبدى لا ينقطع ولا ينقص ولا يتغير بضده كما هو الحال في الدنيا الفانية.

عاشرًا: الإيمان باليوم الآخر واستحضار تفاصيله خير داع للاستزادة من أسباب نيل الشفاعة فيه، وأعظم الشافعين القرآن العظيم فيلزم العبد حفظه وتلاوته وتدبره والعمل به، وملازمة هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واتباع سنته، وكثرة الصلاة والسلام عليه، وصحبة الصالحين، والحذر من أسباب الطرد عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم من التبديل والتغيير في هديه وسنته أو الإعراض عنها.